

تفسير ابن كثير

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ

الْكِتَابِ

يقول : ويكذبك هؤلاء الكفار ويقولون : (لست مرسلا) أي : ما أرسلك الله ، (قل

كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي : حسي الله ، وهو الشاهد علي وعليكم ، شاهد علي

فيما بلغت عنه من الرسالة ، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان . وقوله : (

ومن عنده علم الكتاب) قيل : نزلت في عبد الله بن سلام . قاله مجاهد . وهذا القول

غريب ؛ لأن هذه الآية مكية ، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - المدينة . والأظهر في هذا ما قاله العوفي ، عن ابن عباس قال : هم

من اليهود والنصارى . وقال قتادة : منهم ابن سلام ، وسلمان ، وتميم الداري . وقال مجاهد

- في رواية - عنه : هو الله تعالى . وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله

بن سلام ، ويقول : هي مكية ، وكان يقرأها : " ومن عنده علم الكتاب " ، ويقول : من

عند الله . وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري . وقد روى ابن جرير من حديث ، هارون

الأعور ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قرأها : " " ومن عنده علم الكتاب " ، ثم قال : لا أصل له من حديث الزهري عند الثقات
قلت : وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده ، من طريق هارون بن موسى هذا ، عن
سليمان بن أرقم - وهو ضعيف - عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه مرفوعا كذلك . ولا
يثبت . والله أعلم بالصحيح في هذا : أن (ومن عنده) اسم جنس يشمل علماء أهل
الكتاب الذين يجدون صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - ونعته في كتبهم المتقدمة ، من
بشارات الأنبياء به ، كما قال تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) الآية [الأعراف : 156 ، 157] وقال تعالى :
أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) الآية : [الشعراء : 197] . وأمثال ذلك
مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل : أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد
في حديث الأخبار ، عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة . قال الحافظ
أبو نعيم الأصبهاني في كتاب " دلائل النبوة " ، وهو كتاب جليل : حدثنا سليمان بن أحمد

الطبراني ، حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا محمد بن مصفى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن حمزة بن يوسف ، بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، أن عبد الله بن سلام قال لأخبار اليهود : إني أردت أن أجدد بمسجد أينا إبراهيم وإسماعيل عهدا فانطلق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة ، فوافقهم وقد انصرفوا من الحج ، فوجد رسول الله ، بمنى ، والناس حوله ، فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أنت عبد الله بن سلام ؟ " قال : قلت : نعم . قال : " ادن " . فدنوت منه ، قال : " أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام ، أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ " فقلت له : انعت ربنا . قال : فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [سورة الإخلاص] فقرأها علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكتم إسلامه . فلما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة وأنا فوق نخلة لي أجدها ، فألقيت نفسي ، فقالت أُمِّي : [الله] أنت ، لو كان موسى بن عمران ما كان لك أن تلقي نفسك

من رأس النخلة . فقلت : والله لأنني أسر بقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من

موسى بن عمران إذ بعث . وهذا حديث غريب جدا . آخر تفسير سورة الرعد والله الحمد

والمنة.